

سلسلة بحوث وسياسات الاعلام - مركز تطوير الاعلام

# سوسيولوجيا تواصل الصحفيين على مواقع التواصل الاجتماعي

إعداد:

الباحثة اسراء لافي

مركز تطوير الاعلام  
وحدة الابحاث والسياسات

سوسيولوجيا تواصل الصحفيين على مواقع التواصل الاجتماعي  
(مقالة بحثية متخصصة)

اعداد

الباحثة اسراء لافي  
اشراف: د. وليد الشرفا

هذه المقالة انتجت في وحدة البحوث والسياسات بمركز تطوير الاعلام في جامعة بيرزيت ضمن مشروع الوحدة في العام ١٤-٢٠١٥، بدعم من وكالة التنمية السويدية (SIDA)، والمقالة ملكية حصرية للمركز والجامعة وحقوق نشرها او اقتباسها تخضع للملكية الفكرية، والاراء الواردة في المقالة لا تعبر بالضرورة عن المركز.



مركز تطوير الاعلام- جامعة بيرزيت: (mdc.birzeit.edu)

هاتف: ٢٩٨٢١٧٥. فاكس: ٢٩٨٢١٨٠

## المقدمة:

تمثل مواقع التواصل الاجتماعي اليوم نمطاً جديداً من أنماط الاتصال والتواصل؛ وهي إحدى أشكال الإعلام الاجتماعي أو ما عُرفت بالإعلام الجديد، ويُعرّف الإعلام الاجتماعي بأنه "إعلام ينقل أخبار ومعلومات المجتمع إلى المجتمع نفسه أو إلى المجتمعات الأخرى على أنواعها بقصد الإخبار والتعليم وبقصد الإرشاد والتوجيه والتأثير في السلوك الجماعي"<sup>1</sup>، وهي أيضاً؛ أي مواقع التواصل الاجتماعي؛ وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري حيث أن الإعلام نوع من أنواع الاتصال الجماهيري، وهذا الأخير أحد أشكال سوسيولوجيا الإعلام.

ما قد نتفق عليه؛ أن تغييراً ما طرأ على مهنة الصحافة والإعلام عموماً، جعل من المواطن مراسلاً ضمن ما يسمى صحافة المواطن، وهنا تتسع دائرة التأثير والتأثير سواء على صعيد المعلومة أو السلوك، ونظراً لاعتماد مواقع التواصل الاجتماعي على التفاعل بين صاحب الخبر أو المعلومة مع المتلقي؛ فإن وسائل الإعلام التقليدية أضافت بُعداً جديداً؛ وهو التواصل مع الجمهور؛ وذلك لزيادة الانتشار ولإثراء أعلى للمحتوى، ولبسطة السيطرة على أكبر حيز إعلامي ممكن أن تصل إليه وإلى الجمهور الذي يستخدمه مهما تنوعت وتعددت هذه المواقع؛ بصفتها نوع من أنواع الاتصال الجماهيري.

وفي الحديث عن سوسيولوجيا الإعلام يرى ماكس فيبر أن السوسيولوجيا وسيلة لإصلاح الإنسان والمجتمع؛ فأين هذا من العلاقة بين الصحفيين ومواقع التواصل الاجتماعي كبيئة حاضنة لهم؟ وهل كان لمواقع التواصل الاجتماعي أثر على الصحفيين؟ وفي الصورة المعاكسة؛ هل كان للصحفيين أثر على مواقع التواصل الاجتماعي؟

نحن هنا بحاجة لأن نفهم التغيير في شخصية الصحفي وكيفية تفاعله مع مواقع التواصل الاجتماعي، وبما أننا نتحدث عن اتصال وعلاقة فلا بد أنه يحدث في مجتمع وينشأ عنه سلوك، وهنا نتحدث عن تفاعل، حيث يرى اليحياوي<sup>2</sup> أنه من الثابت وجود علاقة بين مجال الاتصال والتطبيق التكنولوجي.

<sup>1</sup> جبور، سناء محمد، الإعلام الاجتماعي، ص14، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010م.

<sup>2</sup> اليحياوي، يحيى، في العولمة والتكنولوجية والثقافة، ص172 - 173، بتصرف، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2002م.

يرى رشتي<sup>3</sup> أن هناك أسلوبان للنظر إلى الإعلام؛ فإما وسيلة لنشر المعلومة أو جزء من سلسلة التطور التكنولوجي، وهذا يفتح المجال لنتساءل: كيف ننظر إلى مواقع التواصل الاجتماعي كمجتمع؟ هل هي وسيلة لنشر المعلومات والترفيه والتعليم أم جزء من سلسلة التطور الاجتماعي والتكنولوجي؟ وإلى ماذا نهتم هنا: إلى المضمون والهدف أم إلى التأثير بصرف النظر عن المضمون؟ ثم ما هي ماهية هذا المجتمع وكيف يؤثر على سلوك العاملين فيه لا سيما الصحفيين؟

## النظريات وتفسير السلوك والمجتمع:

### الاحتمية التكنولوجية:

هناك مجموعة من النظريات التي يمكن من خلالها الإجابة على الأسئلة السابقة، منها: الاحتمية التكنولوجية، والنظرية الاجتماعية، ونظرية التبادل الاجتماعي.

بالعودة إلى ما طرحه ماكلوهان في نظريته الاحتمية التكنولوجية؛ يرى أن طبيعة وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر مما يشكله مضمون الاتصال؛ ويرى أنه بمعرفة كيف تشكل التكنولوجية البيئة المحيطة بنا، نستطيع أن نسيطر عليها ونتغلب تمامًا على نفوذها أو قدرتها الاحتمية.

وقد نتفق أو نختلف مع ماكلوهان؛ لكن الواقع يثبت أننا كثيرًا ما نرفض كل جديد ونعاديته لجهلنا به، وخوفنا من مجهول قد يؤثر على طبيعة حياتنا، ويساهم بفرض تغييرات كثيرة في جملتها نتيجة لهذا الجديد ولطريقة استخدامنا له، ونحن نتمسك بالقديم وبالرتابة التي تخيم على حياتنا، مما يجعل المواجهة ثقيلة وصعبة، فإما أننا سنواجه هذه الاحتمية برفضها ثم نتأخر عن اللحاق بها، وإما أننا سننجذب نحوها بدافع الفضول وقبول التغيير من باب استحسان التجربة واختبارها، والنتيجة أن هناك تطور تكنولوجي يحصل ويُفرض على حياتك.

إذن؛ تطور تكنولوجي يعمل على إيجاد مجتمع يتفاعل فيه الناس، ولكن ما شكل هذا المجتمع؟ ومن ينظمه؟ وما الحاجات التي يُشبعها رواد هذا المجتمع؟ بحسب ماكلوهان أن طبيعة وسائل الإعلام تحدد النظام الاجتماعي، والنظام الاجتماعي عبارة عن مجموعة من الأنماط السلوكية التي أشبعت

<sup>3</sup> رشتي، جيهان أحمد، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص371-372، القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 1978م.

حاجة اجتماعية فاكتمت التصديق والقبول من أعضاء المجتمع فتكررت وسنت لها قواعد أصبحت ضرورية للحياة الاجتماعية<sup>4</sup>، وتلخص وظائف هذا النظام في إشباع حاجات إنسانية أساسية اجتماعية، يحددها القائم بالتواصل مع هذا المجتمع.

### المجتمع الافتراضي:

وبما أننا نتكلم عن مواقع تواصل اجتماعي؛ فالحيز الذي تشغله هو الإنترنت أي المجتمع الافتراضي؛ أي علاقة بين إنسان وآلة، وهو مجتمع جعل العالم يبدو كقرية صغيرة، وقد صغر أكثر مع مواقع التواصل بحيث تجاوز حدود الزمان والمكان، وتحرر من سقف الوقت الذي يتيح لك أن تتواصل مع من تشاء في أي وقت تريد، كما تحرر من التكاليف المادية في جوانب متعددة؛ منها السفر للوصول إلى شخص أو معلومة أو مكان، والتحرر من قيود الشكل والأناقة؛ فأنت لست مضطراً لارتداء بزة رسمية لتنتشر معلوماتك، كما أن مسألة القبول الشكلي أو الاهتمام بالعطر واللون لم تعد ضرورية، والتحرر أيضاً من شكل المكان الذي تتواصل فيه مع علاقاتك المختلفة عبر مواقع التواصل الاجتماعي؛ فقد تتواصل وأنت على مكتبك أو سريرك على أي حالة كنت، إلى جانب التحرر من بعض القيود النفسية والاجتماعية كالخجل.

ويرى المنصوري<sup>5</sup> أن هذا المجتمع الافتراضي يتمتع بخصائص تميزه إلى جانب كونه افتراضياً؛ فهو مجتمع خيالي أي أن الخيال بين الأفراد يولد جاذبية بين المستخدمين، فأنت مضطرب هنا لتركيب العناصر المجهولة لمن تتواصل معهم أو يشاركوك موادك المختلفة؛ فتتخيل الشكل، والصوت، ورد الفعل، ويرى أنه مجتمع لا مركزي حيث فتح العالم على علاقات اجتماعية لا محدودة، وأضيف هنا اللامركزية أيضاً في طبيعة العمل ضمن فريق العمل الواحد وكأن هذه المواقع تضع الصحفيين على مستوى واحد مع مسؤوليهم وحساباتهم، وأيضاً هو مجتمع تشاركي نستطيع من خلاله أن نتوحد في قضية واحدة، وهذا يتيح للصحفيين تحديداً ولنشطاء مواقع التواصل إنشاء أطر مؤسسية وأشكال جديدة أخرى للتواصل بينهم ولخدمة أعمالهم الفردية والجماعية بعيداً عن مؤسساتهم الصحفية الأم.

<sup>4</sup> مجموعة مؤلفين، مبادئ علم الاجتماع، ص253، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الأولى، 1992م.

<sup>5</sup> المنصوري، ندم، سوسيولوجيا الإنترنت، قناة فلسطين اليوم: برنامج مرآة الكتب، 2014م.

نحن إذن نحمل علاقاتنا الاجتماعية الواقعية والافتراضية جنبًا إلى جنب، ولا يمكن لنا أن ننزل بالكلية عن الواقع ونستبدله بالافتراضي، وإن كنت أميل إلى كون المجتمعان يكمل كل منهما الآخر، فقد نستفيد من تطوير الذات وتجاوز بعض المشاكل النفسية الشخصية عبر الواقع الافتراضي ونستثمر ذلك في تعزيز علاقاتنا في المجتمع الواقعي؛ إلا أن انغماس الفرد مع الواقع الافتراضي يجعله ينزل عن محيطه أو يتفاعل معه من خلال الآلة فقط، وبالتالي فهو يعيش لنفسه، ويمارس تضخيم الأنا في أثواب مختلفة بحسب دوره عبر عالمه الافتراضي من خلال علاقاته ونشاطاته، وقد ينعكس هذا السلوك على محيطه القريب أو على شكل رغبة أكبر في اعتزال الخروج من البيت أو التمسك أكثر بالتقنية التي يحوزها خلال تنقله، وهذا ما تشير إليه sherry turkle<sup>6</sup> : "كنا نتساءل قبل ثلاثين سنة فيم يمكن أن نستعمل الحواسيب، والسؤال الآن فيم لم نستعملها، بالتقنية نحن نبدع، نتحاور، ونعيد تشكيل مشاعر الحياة".

### التغير الاجتماعي:

هنا نحن نتحدث عن تغير اجتماعي بصرف النظر عن شكله أو مجاله؛ والذي يعرفه ولبرت مور بأنه "تغير أو تبدل الأبنية الاجتماعية أي أنماط الفعل الاجتماعي، والتفاعل الاجتماعي، بما فيها من نتائج ومظاهر لهذه الأبنية، متجسد في معايير وقيم ونتائج ثقافية"<sup>7</sup>، أي حتى يحدث تغير اجتماعي لا بد من تفاعل بين أعضاء هذا المجتمع فيما بينهم عمليًا وواقعيًا وفي الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف<sup>8</sup>، وكأن هذا التفاعل قائم على التقاطعات أحيانًا، وعلى التكامل أحيانًا أخرى، وعلى الاتفاق أو الاختلاف، والاجتماع أو الافتراق؛ ليظهر أخيرًا على شكل قيم ونتائج ثقافية.

ويأخذ التفاعل على مواقع التواصل الاجتماعي أشكالًا متعددة؛ منها: الصراع، المنافسة، المواءمة، الاندماج، والمشاركة<sup>9</sup>، وهو ما يطلق عليه سناء الجبور "التطبيع الاجتماعي"<sup>10</sup> وهي تحول

<sup>6</sup> <http://www.alonetgetherbook.com/> ، ترجمة بتصرف.

<sup>7</sup> مبادئ علم الاجتماع، مرجع سابق، ص294.

<sup>8</sup> المستاري، محمد، مقال: علاقة التأثير الاجتماعي بوسائل الاتصال الجماهيري،

<http://diwanalarab.com/spip.php?article31639>

<sup>9</sup> دويدار، عبد الفتاح محمد، سيكولوجية الاتصال والإعلام، ص43، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2004م.

<sup>10</sup> جبور، سناء، مرجع سابق، ص23.

الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، وهي هنا تفاعل المشارك في مواقع التواصل الاجتماعي مع بيئته الاجتماعية الجديدة، بحيث يحتاج إلى شبكة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية، وهذا التفاعل المستمر بين البيئة والفرد يؤدي إلى نمو ذاته، وما يميز مواقع التواصل الاجتماعي سرعة بناء العلاقات؛ وبما أن المعلومة أو الخبر تمثل ركيزة النشاط الاجتماعي فإن الصحفي هو الأوفر حظاً في البناء والتفاعل، والأكثر عرضة لأشكال التواصل.

### التطبيع الاجتماعي والدوافع:

وإذا كنا نسأل هل لهذا التطبيع الاجتماعي علاقة بالثقافة التي يكتسبها الفرد؟ يذهب جبور<sup>11</sup> إلى أن الثقافة عبارة عن المجموع الكلي لأنماط السلوك المكتسب والاتجاهات والقيم والمعايير التي يشترك فيها وينقلها أفراد مجتمع معين، أي أن أنماط السلوك الاجتماعي التي يتعلمها الفرد إنما يتعلمها في إطار من العلاقات الاجتماعية، لكن ما الدوافع التي تقف وراء الأنماط السلوكية المختلفة والتي قد تظهر على شكل سلوك، سواء كان سلوكاً مكتسباً أو عبارة عن رد فعل؟

الدافع هو المحرك الذي يقف وراء فعل محدد، أو هو "حاجة يسعى الفرد إلى إشباعها أي قوة داخلية تتبع من نفس الفرد وتوجهه للتصرف والسلوك في اتجاه معين"<sup>12</sup>، ومن هذه الدوافع<sup>13</sup>: الدافع للإنجاز والأداء بشكل جيد؛ فالصحفي هنا دائم التفكير بالمواربة وحريص على صورته المهنية أمام جمهوره المتفاعل معه أو المتابع له، مما يخدم سمعته المهنية.

ودافع القوة والتحكم بالآخرين، من خلال نوع الخبر أو أسلوب صياغة الخبر أو المعلومة وآلية توظيفها، ومن خلال سياسة الخصوصية التي تتيحها بعض مواقع التواصل الاجتماعي بتحديد من يرى المنشور، أو إمكانية حظر المتابع، أو سياسة التبليغ عن المشاركات، إلى غيرها من خدمات تضع الصحفي في موقع المتحكم.

<sup>11</sup> جبور، سناء، مرجع سابق، ص23.

<sup>12</sup> جبور، سناء محمد، مرجع سابق، ص24.

<sup>13</sup> مرجع سابق، 25، بتصرف شديد.



ودافع الانتماء من خلال الارتباط بعدد من الأفراد الآخرين؛ أي العمل بروح الفريق لأجل هدف أو غاية تجمعهم، سواء كان خلال المؤسسة الرسمية أو مجموعات خارج هذه المؤسسة، مجموعة تقلل من اغترابه فيها وتشعره بأنه مهم ويقدم شيئاً نافعاً.

ودافع الاعتماد على الغير أو يمكن أن نسميه التواكل؛ تفوض بعملك غيرك، فمع ظهور صحافة المواطن قد يعتمد الصحفي على شهود عيان من مناطق مختلفة ليؤمّنوا له المادة التي يحتاجها دون الحاجة للتنقل وسواء كان هذا بمبادرة من شهود العيان أو بطلب منه، وسواء كان هذا الطلب مدفوعاً أو مشفوعاً بالحب والاستلطاف.

والدافع لليقين وهو الدفع باتجاه الأمر المعلوم لا المجهول، وهذا ما يدفع الناس لمتابعة الصحفي تحديداً؛ إذ هو عينهم على الواقع، وفي إطار السعي وراء الحقيقة والخبر الصادق فإن الصحفي يستفيد جمهوراً شعبياً لم يغامر به من خلال مهنته، وعلى النقيض من يقدم الخبر الكاذب فإنه لا يخسر مهنته ولكنه يخسر جمهوره، والصحفيون يتنافسون في صفحاتهم الذاتية على الجمهور.

ومن الدوافع؛ دافع التمسك بالمثل والقيم الأخلاقية، ولأن الواقع الافتراضي اليوم يدفع الناس ليكون لهم رأي من كل حدث؛ فإن موقف الصحفي من قضية أخلاقية أو تمس عرفاً اجتماعياً أو تكشف فساداً ما يساهم في تعزيز القيم الأخلاقية.

وهناك دوافع أخرى مثل: دافع العدوان والذي قد يأخذ أشكالاً؛ منها: الجدل، والسخرية، والقسوة البدنية والعقلية والمقاتلة، وتتجاوزها إلى السب كنوع من التعبير عن الكراهية وهي أحد أشكال العدوان، وربما يمكن أن نلاحظ الجدل والسخرية بكثافة في موقع الفيسبوك، فالكثير لا يناقشون الخبر أو المعلومة بقصد الاقتناع بل بقصد انتزاع انتصار، وتكثر الصور والتصاميم الساخرة والتي قد يرافقها سيل من الردود التي تتفوق بسخريتها على محتوى الصورة، وفي حالات أخرى قد يصل العدوان إلى الضرب أو مصادرة الحرية لمادة نشرت على أحد مواقع التواصل الاجتماعي، كما حصل مع عدة صحافيين في الضفة الغربية وغزة، وهذا يبقي سؤالاً مفتوحاً: هل اتساع سقف الحرية للصحفي سيخفف مشاعر الكراهية أو العدوان والتي قد تتولد كرد فعل لسلوك أمني؟

أما أهم الدوافع التي تقف خلف مجمل نشاطات الناشطين على مواقع التواصل الاجتماعي؛ هو دافع تحقيق الذات، أي دافع الطموح، والذي قد يكون على شكل أعمال إنسانية أو خدمات ثقافية أو تسويق للذات وتوظيف لمواقع التواصل كوسيلة لانتشار أكبر.

وبالاستناد إلى فستجر<sup>14</sup> فإن الناس يمتلكون حاجات لتقييم أفكارهم واتجاهاتهم والتأكد من صحة هذه الأفكار والاتجاهات، وهذا يطمئنهم إلى كفاءتهم وقدرتهم على التحكم بالعالم المحيط، وهذا أيضاً ينطبق على الصحفيين الذين يتواصلون من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، وينعكس على زيادة الثقة بالنفس، وتحسين الأداء، أو تعديل العمل قيد النقد، وربما يغير قناعة أو يعدل رأياً، أي أن الصحفيين هنا يوجدون نظام رقابة ذاتي خاص بهم، ويعملون على تقبل وجهات النظر المختلفة كدورة تدريب على تقبل الاختلاف والمرونة، إلى جانب التدريب على الاعتراف بالخطأ.

#### توازن الحواس:

أما كيف تعمل حواسنا؟ ولماذا نلاحظ على من يتواصلون عبر التقنية ومواصل التواصل شرودهم وعدم تركيزهم مع شخص يحدثهم خلال عملهم أو انشغالهم على الشاشة؟

بالنظر إلى عبد الرحمن عزي فإنه يرى<sup>15</sup> أن الحواس تلعب دوراً بعملية وعي الإنسان "عقله"، والحاسة لا تؤدي وظيفة ما بمعزل عن تأطير ينبثق عن وعي الإنسان، فالإنسان لا يسمع بأذنه فحسب إنما يسمع بوعيه، والسمع يتحول في وعي الإنسان إلى إدراك، والإدراك إنما يحدث عندما يختبر في العلاقة مع المخزون المعرفي الذي اكتسبه الإنسان في تنشئته وتعلمه وتجربته الحياتية.

إن؛ فوعي الإنسان وهو يدرك يضيف على هذا الذي سمعه ما اكتسبه عنه مسبقاً، ومن ثم يمكن القول ظاهرياً أن الإنسان لا يدرك فحسب، ولكنه يمارس إدراكاً إضافياً على ما يدركه، وهذا يسمى بالإدراك القبلي (Apperception)، وكذلك مع البصر فالصورة التقنية ليست صورة فحسب بل هي نشاط يرتبط بالوعي والتفكير، وبالتصورات المسبقة.

أما ماكلوهان فيرى أن الناس يتكيفون مع الظروف المحيطة عن طريق توازن الحواس، وكل اختراع تكنولوجي جديد يعمل على تغيير التوازن بين الحواس، وقد بدأ الإنسان تواصله مع محيطه

<sup>14</sup> مرجع سابق، ص 29.

<sup>15</sup> عزي، عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال، ص 37-39 بتصرف، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2003م.

بالكلمة المنطوقة فجعلته عاطفياً أكثر، ولكن ريشة الكتابة وضعت نهاية للكلام، وجعلت الإنسان أكثر عزلة<sup>16</sup>، وأتساءل هنا: هل وضعت لوحة المفاتيح وشاشة اللمس النهاية لريشة الكتابة والكلام معاً؟ فالإنسان اليوم بات أكثر عزلة رغم حشد التقنية والعلاقات التي تحيط به.

أنت حين تعمل على شيء ما؛ مثلاً: تقرأ كتاباً ورقياً، هنا تستخدم حاسة البصر، واللمس، وربما تمسك قلمًا وتدون ما تفكر به أو ترسم إشارات لا معنى لها إذا شردت أثناء القراءة، تفاعلت بأكثر من حاسة فلا يمكنك نسيان لحظاتك مع الكتاب، وحين تسمع موسيقى وتسترخي، هنا تستخدم حاسة السمع وقد لا تركز في الكلمات فتنتاسها بعد وقت قصير، ولكنك لو استخدمت قلمًا لتحفظ الكلمات، ولو رددتها، ستحفظها.

وأمام شاشة الحاسوب وأنت تتابع مواقع التواصل الاجتماعي سواء كان فيسبوك أو تويتر أو يوتيوب وغيرها، تستخدم حاسة البصر واللمس وربما تتمم بلسانك وفي بعض الأحيان تستخدم حاسة السمع، وتشارك بالرد، أو تصنع فكرة أو تنشر خبراً أي تصنع حدثاً، هنا شاركت بأكثر من حاسة معاً، وكنت مشدوداً بكليتك كمشارك في صناعة محتوى، هذا يعزلك عن محيطك الواقعي لتركز مع المجتمع الافتراضي، مما يجعل لك عالماً خاصاً تفكر فيه وتضحك معه أو تحزن أو تغضب، مما يعيد صياغة حواسك بطريقة تناسب هذا العمل الذي وجدت فيه، وهو ما أسماه ماكلوهان: Sensory Ratio أي نسبة استخدام الحواس.

وهذا ما يحصل فعلياً مع الصحفي الذي يقضي وقتاً طويلاً مع عدة حسابات على عدة مواقع تواصل، مما يجعله أكثر عرضة لحالة العزلة، وأكثر عرضة لعدم القدرة على التعامل مع المشتتات خارج محيط الشاشة، ولهذا كثيراً ما ينسى الحوار الدائر حوله أو معه أثناء عمله على الشاشة، أي أنه يصبح أكثر حاجة للتعامل مع محيطه بشكل منفصل ليعطيه حقه ويخفف من ضعف التركيز، وهذا ما يعززه عبد الرحمن عزي<sup>17</sup>؛ إذ يرى أن ثقافة التلفزيون والفيديو والإعلانات تشهد طغياناً لحضارة الصورة، وهذا أضعف ما هو قيمي ورمزي ومجرد (الكلمة)، واستدل على ذلك بالإشارة إلى أن الدراسات الإمبريقية أظهرت أن كثرة مشاهدة التلفزيون تضعف القدرة على التفكير وتنمي الكسل الذهني، ولعل هذا يفسر ضعف التركيز ليس فقط للصحفي بل للمستخدم بشكل عام لوسائل التواصل

<sup>16</sup> رشني، جيهان أحمد، مرجع سابق، ص 375 - 377، بتصرف.

<sup>17</sup> عزي، عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال، ص 47، بتصرف.

والذي مع مرور الزمن يأنف من الكلمة ومن القراءة ويميل إلى متابعة الصورة أو الفيديو في ميل حاد تجاه الكسل، فلا يكتب ولا يرغب بالقراءة ولا بالتفكير في الآراء التي تستعرضها حواسه.

هذا الانغماس في مواقع التواصل الاجتماعي هل يوفر للصحفيين الفرصة لفهم هذه المواقع؟ وفقاً لماكلوهان: حينما يزيد اشتراك الفرد في شيء؛ يقل فهمه له<sup>18</sup>، تركيز الصحفيين عادة ينصب على تعزيز المشاركة سواء بنقل خبر أو نفيه أو تفاعل مع متابعين، مجتمع هذه المواقع لم ينشأ لتكون بديلاً عن الحياة العملية للإنسان، بل يلعب الوقت وتنظيمه دوراً مهماً في عملية التفاعل ولكن استطاعت هذه المواقع أن تلعب على أوتار الرغبات؛ كالحرص على الشهرة، والحرص على السبق الصحفي، والرغبة في إثبات الذات، ومحاولة الحضور طوال الوقت.

هناك نوع من الجذب تمارسه هذه المواقع يثير الفضول؛ فتستحوذ على أوقات وجهود الصحفيين، وحتى المتابعين لهم، ومما يغري في ذلك أكثر إمكانية التواصل في كل وقت وفي أي مكان.

ومما يجعلنا نفهم أكثر اعتداد الصحفي بما يملك من أدوات خلال عمله عبر مواقع التواصل الاجتماعي وخلال تعامله مع زملائه أو حتى متابعيه؛ أقف مع ما قاله ماكلوهان<sup>19</sup> حول من يستخدم حاسة الإبصار أو الذي يعتمد أساساً على المطبوع؛ فيصفه بأنه إنسان فردي، عنده شعور دائم بأنه بالرغم مما قد يقوله أي شخص قادر على التأكد من الموضوع، يحصل على المعلومات الضرورية بطريقته، والصحفي يتعامل بهذه الطريقة مع كل ما يعترضه، ويجعله نمط حياة في واقعه، له مصادره، وطريقته في الحصول على المعلومة، وتوظيفها أيضاً.

### التبادل الاجتماعي:

وإن كان أحياناً كثيرة تغلب على الصحفيين الأنانية وحب الاستئثار بالمصادر؛ إلا أن من يُشبعون دوافعهم، ويشعرون بالإنجاز، ويحققون ذاتهم؛ يكونون أكثر حرصاً على النفع، وهو ما توضحه نظرية التبادل الاجتماعي<sup>20</sup> والتي أسسها جورج هومانز، حيث ترى أن السلوك الاجتماعي

<sup>18</sup> رشني، جيهان أحمد، مرجع سابق، 378.

<sup>19</sup> رشني، جيهان أحمد، مرجع سابق، 382.

<sup>20</sup> ستة، إلهام، مقال: مواقع التواصل الاجتماعي في سياقها النظري، 2014/05/02م، موقع <http://hadath.ma>، ملفات وتقارير.

هو نتيجة لعملية تبادلية، الغاية منها تعظيم الفوائد وتقليل التكاليف، وتفترض أن الناس يزنون فوائدهم ومخاطرهم المحتملة في سياق علاقاتهم الاجتماعية وفي حال خرق مبدأ التبادل المتكافئ أو التبادلية في المنفعة والتكلفة؛ تنهار العلاقة بشكل آلي أو يتم تعليقها في أحسن الظروف، ولعل هذا يفسر سلوك دوائر عمل الصحفيين بين الحين والآخر، وفقاً لموازنة ذهنية، وتغيرات في طبيعة العمل وطبيعة المنفعة المجنية.

من جهة أخرى ترصد النظرية أموراً تجلب المنفعة كالمتعة والمرح، والصدقة الحميمة، والصحة الطيبة، والدعم النفسي الاجتماعي، ويحصل هذا حين تتفوق المنافع على التكاليف، هذا النوع من الموازنة له دور في توطيد العلاقة بين أصحاب المهنة الواحدة أو فريق العمل ضمن مجال ما أو من تجمعهم أهداف أو توجهات ما، نوع من الانصهار تؤطره المنفعة.

من أكثر ما ينطبق على مواقع التواصل الاجتماعي social media بأنها وسيلة باردة، وذلك قياساً على تصنيف ماكلوهان للوسائل بين ساخنة وباردة، على أساس درجة المساهمة فيها أو إكمال ما تقدمه، وهنا فإن الصحفي يساهم بدرجة عالية في النشر والمشاركة، أو الرد والتعديل.

ويمكن القول أن الوسيلة الساخنة هي المكتملة التي تجعل منك مستهلكاً ثائراً أو مستهلكاً مشبعاً أو مستمتعاً، ولكن الوسيلة الباردة تجعلك شريكاً في اللحظة والكلمة والصوت والصورة، تقتحم حياتك، ثم لا تتخيل حياتك بدونها.

### التأثير على الرأي العام:

إذن شكل تفاعل تواصل الصحفي على مواقع التواصل الاجتماعي وانسجامه معها وقدرته على توظيفها يحدد مدى تأثيره بها وتأثيرها على حياته وعلى من حوله؛ ولكن هل لهذا التواصل تأثير أكبر على القيم الاجتماعية والسياسية أو تأثير على صناعة القرار؟

وفقاً لنظرية التغيير الاجتماعي فإن شكل التفاعل هو الذي يحدد الإجابة، وحتى يحصل تأثير على المجتمع وصناعة فعل اجتماعي أو سياسي؛ فلا بد من صناعة رأي عام<sup>21</sup> وهو تعبير الجماعة أو

<sup>21</sup> جيور، سناء، مرجع سابق، 126.

المجتمع أو الجمهور العام عن رأيه ومشاعره وأفكاره ومعتقداته واتجاهاته في وقت معين بالنسبة لموضوع يهمه أو قضية تخصه أو مشكلة تواجهه.

والرأي العام أنواع بحسب النطاق الجغرافي، والزمن، ودرجة الوضوح، ودرجة الصراحة، ودرجة تأثيره وتأثره، وبالنظر إلى التغيرات الكثيرة التي تحصل في المنطقة، ودفع الصحفيين ثمن تغطية الحدث، أو نقل الخبر بأي وسيلة كانت.

يمكن أن نقرأ أثر هذه التغطية في صناعة رأي عام، وإلا لماذا تخاف بعض الأنظمة منها ومن أثرها؟ فنرى مثلاً إيران تحجب موقعاً كتويتراً؟! الخوف من تأثير تواصل المجتمع مع مجتمعات أخرى، والخوف من ثقافات جديدة تكسر القيود الحديدية على النشاط الثقافي والتوجه الفكري.

مواقع التواصل الاجتماعي كوسيلة إعلامية يمكن أن تساهم في تعبئة الجماهير، وخاصة باستخدام الصورة والكاريكاتور وصناعة الرموز، وفي مجال تكرار الرسالة الإعلامية، صحيح أن مواقع التواصل لا تجمع كل فرد في المجتمع ولكن تعدد وسائل الاتصال والتواصل وتنوع هذه المواقع ينقل ما تريد خلالها فتصل إلى أكبر جمهور يستخدم هذه المواقع على اختلافها.

وهنا يبرز دور الصحفي؛ من ناحية التأثير فكلما اكتسب مصداقية أعلى وجمهوراً أكبر كانت قدرته على التأثير في الناس أكبر؛ من خلال رأي يطرحه أو قضية يفجرها بتقرير ينشره، وإن استخدم الصحفي العمل خلف الستار أي باسم مستعار من خلال صفحة إخبارية يديرها، فإن كان لهذه الصفحة جمهوراً وتتمتع بالمصداقية فإن إثارها لأي قضية وإن لم تُحدث تغييراً على المستوى السياسي فإنها تترك أثراً من خلال الرأي الذي يكونه المتابع فيحتفظ به إلى حين تجسيده سلوكاً عملياً يعبر فيه عن توجهاته.

ولعل أكثر النظريات الإعلامية مناسبة لمواقع التواصل الاجتماعي؛ نظرية تحديد الأولويات، ونظرية التأثير التراكمي؛ وهي تسهم في تأثير بطيء وطويل المدى، ينتهي بتغيير القيم والسلوك أو يؤثر عليها بشكل ما، ويحدث هذا مع تكرار رسالة معينة، أو التركيز على فكرة محددة بأشكال مختلفة ووسائل متنوعة بين المسموع والمرئي والمقروء، وحين يقع الإنسان تحت تأثير وسيلة إعلامية فإن طريقة تفكيره وما يحمله من قيم أو خواطر ستتأثر وتعرض لمراجعة ذاتية بإرادته أو في اللاشعور مما ينعكس على سلوكه وقناعاته في نهاية المطاف.

ونلاحظ أن مواقع التواصل الاجتماعي تقدم قضايا على حساب أخرى وكأنها تحدد للجمهور اهتماماته؛ وحتى الصحفي حين ينشر قضية أو خبراً فإنه يحدد لجمهوره الموضوع الذي سيشغلهم لساعة أو ساعات.

### من مشكلات الصحفيين في واقع التواصل الاجتماعي:

إلى جانب ما سبق لا يمكن أن ننسى أن مجتمع الإنترنت وإن كان افتراضياً إلا أنه يقوم على تفاعل من فيه بسياقات مختلفة؛ هذا التفاعل في سياقه الطبيعي أيضاً ونتيجة لاختلاف الدوافع بين المتفاعلين ينشأ عنه مشكلات مختلفة؛ تعتمد على طبيعة الأفراد، وطبيعة ثقافتهم، ونوع تفاعلهم وأهدافهم، وقدرتهم على التكيف مع هذا المجتمع، واستيعابهم لمن ينافسهم في العمل أو لمن سبقهم فيه.

واختلاف دوافع الصحفيين والناشطين على مواقع التواصل الاجتماعي؛ يؤثر على قيم المجتمع وأخلاقياته، خاصة حين تبقى المقارنة حاضرة بين القيم التي ينشأ عليها الأفراد والقيم التي تتبدل لترضي رغبات النفس، وتصبح أخلاقيات مهنة الصحافة على محك الاختبار، ليس على صعيد المهنية والموضوعية فقط، بل أيضاً المصدقية؛ سواء كصحفي أو كموقع إخباري، أنت ما تقدمه للناس، وبالتالي الدقة مهمة، وقد راج كثيراً استعمال عناوين براقة لتفاصيل لا تمت لها بصلة كنوع دعائي وتشويقي، وليس سهلاً قياس نسبة حصول ذلك في فضاء مفتوح ولكنها حوادث تحصل.

كما تكثر السرقة للأعمال سواء صور أو فيديو؛ فيمكن نزع الشعار الحصري أو قص الصورة أو نقل الخبر دون ذكر المصدر، وإن كانت كلها أعمال لا تسيء إلا لصاحبها، ولكن حصولها يُسرب شعوراً بالإحباط عند صاحب العمل، والذي قد يكتفي بأنه أول من نشر العمل.

وتبدو مواقع التواصل في أحيان كثيرة كحلبة صراع، ساحة مفتوحة للتشهير والانتقام سواء بين الصحفيين أو المواقع الإخبارية أو الأحزاب... إلخ؛ وهنا لا يكون الهدف ضرب المشهر به بقدر ما الهدف تخذيل جمهوره عنه، وتشويه سمعته.

ربما أبرز التحديات عبر مواقع التواصل الاجتماعي أن تاريخك يبدأ من لحظة انتسابك إليها، والتاريخ الذي تغطيه أيضاً يبدأ من تلك اللحظة، وتفاعل الجمهور لا يكون إلا مع لحظاتهم التي يعيشونها حتى يصبح التذكير بالماضي نوعاً من الوقوف على الأطلال.

أما التحدي الثاني فهو السطحية التي قد تكون نتيجة للتشتت الذهني والانغماس الشديد في هذه المواقع على حساب نشاطات رياضية وثقافية وحتى اجتماعية.

### الخلاصة:

الصحفي على مواقع التواصل الاجتماعي متأثر ومؤثر؛ فالوسيلة التي يستخدمها تسهم في تشكيل حياته بطريقة جديدة، ومن خلال تفاعله في هذا المجتمع الافتراضي فإنه يكتسب سلوكيات مختلفة حددها لنفسه أو كانت نتيجة لاستخدام طويل.

وطبيعة تفاعل الصحفي وأخلاقياته التي يلتزم بها تسهم في التأثير على كل من يصل إليهم عمله الإعلامي، ويتفاوت هذا التأثير بحسب الشخص وطبيعة عمله وما يمثله، والأهم طبيعة شبكة علاقاته التي يصنعها ويستفيد منها سواء لتغذية دوافعه المختلفة أو لإفادة جمهوره الذي اكتسبه.

كل اتصال يشكل علاقة، ولكل اتصال وظيفة أو دافع، وهذه الوظائف والعلاقات تصنع نظاماً اجتماعياً؛ بالتالي لا بد من آثار.

وبعد أن أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي عنصراً أساسياً في التواصل فإنه لا يمكن لأي صحفي الاستغناء عنها، كما لا يمكن أن يستغني الكثيرون عن وسائل الإعلام التقليدية، ولا يمكن أن نجبر الناس على استخدام وسيلة محددة فلكل وسيلة جمهورها ومحبوها الذين يفضلونها على غيرها.



## المراجع:

### أولاً: الكتب:

1. جبور، سناء محمد، الإعلام الاجتماعي، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010م.
2. دويدار، عبد الفتاح محمد، سيكولوجية الاتصال والإعلام، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2004م.
3. رشتي، جيهان أحمد، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 1978م.
4. عزي، عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2003م.
5. مجموعة مؤلفين، مبادئ علم الاجتماع، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الأولى، 1992م.
6. المنصوري، نديم، سوسيولوجيا الإنترنت، قناة فلسطين اليوم: برنامج مرآة الكتب، 2014م.
7. اليحياوي، يحيى، في العولمة والتكنولوجية والثقافة، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2002م.

### ثانياً: مواقع الإنترنت:

1. ستة، إلهام، مقال: مواقع التواصل الاجتماعي في سياقها النظري، 2014/05/02م، موقع <http://hadath.ma> ، ملفات وتقارير.

2. المستاري، محمد، مقال: علاقة التأثير الاجتماعي بوسائل الاتصال الجماهيري،

<http://diwanalarab.com/spip.php?article31639>

3. <http://www.alonetogetherbook.com> .